في مسيرة الحركة ـ زوعا .. مواقف وقضايا

بقلم : هرمز طيرو

لقد كان الوعي للذاكرة التاريخية دوراً كبيراً في انطلاق فكر الحركة الديمقراطية الأشورية لأنها فجرت الطاقات النضالية والثورية الكامنة في نفوس شعبنا، واهم المحطات التي ساهمت في تشكيل النواة الأولى للوعي القومي التي اتاحت للأنسان الكلداني السرياني الأشوري أن ينفتح ويحقق ذاته وينفض عنها الجمود وغبار التخلف هي:

المحطة الأولى: المذابح –سيفو– والنزوح الجماعي "الطرد" لشعبنا من أراضيه التاريخية في منطقة حكاري وطور عابدين، والمتغيرات التي حدثت فيما بعد في تركيبته الشخصية من النواحي النفسية والفكرية والأجتماعية والثقافية.

المحطة الثانية: المذابح البشعة التي ارتكبت بحق شعبنا وأمتنا خلال الحرب العالمية الأولى "أورمي، خوي، سلامس".

المحطة الثالثة: احداث سميل والنتيجة التي آلت اليها من حيث بشاعة الجريمة التي ارتكبت بحق أبناء شعبنا العُزل، بعيداً عن تناقضات ومعطيات الأحداث وتطورها.

المحطة الرابعة: احداث عقد الستينات حتى أواسط السبعينات من الأنقلابات والمعارك في شمال العراق وتهجير المئات من قرى شعبنا، حيث مارس جلاوزة النظام في ١٩٦٩ قتلا جماعيا بحق اهالي قرية "صوريا" الأمنة، وقد راح ضحية هذه الممارسة الوحشية العشرات من أبناء هذه القرية ما بين شهيد وجريح.

المحطة الخامسة: محاولة النظام الدكتاتوري السابق "بعد توفر الأرضية المناسبة والصعود التدريجي للفكر القومي اليميني" الى الغاء وجودنا القومي أولا، وتصفية قضيتنا السياسية ثانيا، ومحو هويتنا الثقافية والأجتماعية ثالثا. وقد تجلى كل ذلك على نحو بارز في التعداد العام الذي جرى في سنة ١٩٧٧ م.

لقد ادركت الحركة الديمقراطية الآشورية عمق وحجم الأزمات التي مر بها شعبنا وأمتنا في تلك المحطات التاريخية المؤلمة، وقراءتها قراءة صحيحة تتوافق مع حركة تطور التاريخ، حيث توصل الى..

اولاً: إن الفرد والمجتمع يحتاج الى فكر جديد قادر على صياغة خطاب قومي إيجابي يعتمد على "التغير" شعاراً له بمعنى: ١ – الانقلاب ضد عوامل الضعف في الواقع الكلداني السرياني الأشوري المتخلف والمجزأ. ٢ – الانقلاب ضد الاوضاع المصطنعة المفروضة على الأمة. ٣ – الانقلاب على العقلية المتخلفة والمنهزمة.

ثانياً: عدم قدرة الحركات السياسية القائمة أنذاك على استيعاب عمق الأزمة الفكرية والنفسية التي كانت تعصف بمجتمعنا الكلداني السرياني الأشوري. أو عدم الأستعداد لمواجهتها. لهذا كان من الطبيعي أن تكون افكار ونهج الحركة الديمقراطية الأشورية قد وجدت الأرضية الحقيقية بين صفوف شعبنا من الطلبة والمثقفين والعمال والفلاحين والكسبة، حيث أخذ عدد من الطلبة الذين كانوا يتلقون علومهم في الجامعات العراقية وتحديدا من المحافظات بغداد، نينوى، سليمانية، بصرة، كركوك، بنشر افكار الحركة –زوعا بين صفوف الطلبة وذلك في نهاية العقد السابع وبداية العقد الثامن من القرن العشرين المنصرم، بعدها بدأت افكار الحركة تنتشر الى مناطق مختلفة ويتوسع التنظيم حتى غدا تنظيما قويا يعد العدة لفتح آفاق جديدة للعمل القومي الوطني، وخلق أنموذج الأنسان الجديد الذي يتمحور برنامجه ونهجه الفكري حول محورين أساسيين هما:

١ – تعميق الإتجاهات والتيارات الفكرية التي يغلب عليها الطابع الإيجابي في إطار سياسي وفكري واحد.

٢ – بلورة الأنتماء القومي ووحدة المصير المشترك بالإضافة الى تنمية الشعور والأحساس العميقين بوحدة أمتنا ووجودنا .

وعلى أثر ذلك جرت حملة الاعتقالات في صفوف اعضاء الحركة الديمقراطية الأشورية، فجاءت هذه الاعتقالات ومن ثم الاعدامات "التي كانت اعترافا ضمنيا بقوة هذا التنظيم الجديد" لتزيدهم صلابة وقوة في مواجهة النظام العنصري الرجعي.

لقد تجسدت بداية النشاط الحزبي للحركة – زوعا في المساهمة الواسعة في النشاطين الطلابي والشبابي ونشر فكره ونهجه بين صفوفهم وضم العناصر الجديدة والمثقفة، ومن ثم أتخاذه القرار الأستراتيجي في المساهمة الفعالة في الكفاح المسلح "الي جانب القوى الوطنية والقومية" المعارضة للنظام الدكتاتوري في ذلك الوقت. لأن الحركة ضمن منهجها الفكري تعتبر أن أي قضية في العراق ومهما كانت هي قضية شعبنا وأمتنا ايضا، لذا انطلقت الحركة في كافة نشاطاتها ومعالجاتها للمسائل والمشاكل والقضايا الوطنية بأعتبارها مسائل ومشاكل وقضايا تخص شعبنا، فكانت تحليلات الحركة وبياناتها التي تصدت بها للحالات العامة تربط دائما بين ما هو وطني وما هو قومي، فلا تعارض أو تباين بين الأثنين بل على العكس، أن أي مشكلة وطنية لها تأثير وأنعكاس كبيرين على مجمل القضايا القومية، لذلك فأن الحركة الديمقراطية الأشورية عندما تتصدى لتلك المسائل نجدها تربط بين الأثنين "الوطني والقومي" بشكل ديالكتيكي، وتضع الحلول والمعالجات بما يخدم مصالحنا القومية الى جانب مصالحنا الوطنية، ونقطة الانطلاق هي المصلحة القومية العليا.

ومن هنا يمكن تقسيم نشاطات الحركة – زوعا الى:

اولاً: موقف نشاط الحركة على الصعيد الداخلي.

عملت الحركة الديمقراطية الأشورية خلال العقود الثلاثة الماضية على معالجة المشاكل الداخلية كافة قومية كانت أو وطنية، وشاركت الجماهير الشعبية في مطاليبها من خلال التظاهرات والمسيرات والندوات، وقادت الحركة هذه الجماهير ضمن المنهج الجدلي العلمي في إطار الواقعية الإيجابية المتصلة بالمواقف التي يمكن لنا أن نلخص اهمها:

١ – موقف الحركة من الطلبة والشباب. ٢ – موقف الحركة من المرأة .

لقد اهتمت الحركة الديمقراطية الأشورية ومنذ نشأتها بالتنظيمات الطلابية والشبابية والنسائية لكونهم العامل المحرك للبنية الأجتماعية والطبقة المهنية لقيادة النضال. لذا فأن الحركة في مسيرتها النضالية خلال العقود الماضية، واصلت دعم ومتابعة قضايا الطلبة والشبيبة والمرأة، وذلك من خلال الدعم الفكري والمعنوي لتوجهات وبرامج هذه الشريحة المهمة في المجتمع القادرة على تلبية الطموحات المستقبلية ورفد المسيرة القومية بالإبداع والعطاء الجديدين متجاوزين السلفية والتقليدية برؤية جديدة تجمع بين النضال والثقافة والأخلاق والأصالة والمعاصرة.

ان حملات الاعتقالات والاعدامات في صفوف اعضاء الحركة كانت اعترافا ضمنيا بقوة هذا التنظيم تزيدهم صلابة وقوة في مواجهة الانظمة العنصرية الرجعية.

ومن هذا المنطلق، ومن أجل نشر فكر الحركة – زوعا بين الجماهير، عملت الحركة على المساهمة في تشكيل: أ – اتحاد الطلبة الكلدوأشوري، وأصدار صحيفة "ميزلتا" لتتولى مهمة الدفاع عن حقوق الطلبة ونشر الثقافة القومية والوطنية بين صفوفهم. ب – اتحاد النساء الأشوري، وذلك من أجل توحيد جهود المرأة الكلدانية السريانية الأشورية وجمع شملها للدفاع عن حقوقها المشروعة والمساهمة الفعالة في الحركة السياسية القومية ودعم توجهاتها في البناء التربوي والثقافي والأجتماعي.

ثانياً : موقف الحركة – زوعا من التحالفات الوطنية.

سعت الحركة الديمقراطية الأشورية منذ البداية الى المشاركة في قيام جبهة وطنية تضم كافة الأحزاب والحركات الوطنية والقومية من أجل تحقيق تطلعات الشعب العراقي في التغيير العام وصولا الى اللحظة التاريخية المتمثلة في اسقاط النظام القائم في ذلك الوقت، بأعتبار أن الحالة السياسية في العراق كانت تتطلب العمل بين كافة الأطراف سواء كانت وطنية أو قومية أو دينية أو ليبرالية، وأنطلاقا من هذه القراءة الفكرية وضعت الحركة الديمقراطية الأشورية أستراتيجيتها السياسية القائمة على ضرورة تحالفها مع القوى الوطنية والقومية العراقية ضمن أسس نضالية، لأن الحركة أدركت ومنذ البداية، أن سبب عدم نجاح انتفاضات ووثبات الشعب العراقي تعود الى:

أ – انشطار في الرؤية السياسية للهدف الأساسي لتلك التنظيمات والحركات. ب – عدم تعاون حقيقي بين الأحزاب والمؤسسات السياسية المعادية للنظام فيما بينها. ج – عدم وجود ميثاق للعمل الوطني المشترك. لذا نجد إن الحركة الديمقراطية الأشورية أخذت تثقف أعضاءها وتدعو أصدقاءها الى ضرورة واهمية المشاركة في إقامة الجبهة الوطنية العراقية المعارضة للنظام الدكتاتوري في بغداد، وجاءت اللحظة التي ارتكب فيها النظام البائد عدوانه على دولة الكويت عام ١٩٩١ الذي كان له الأثر الكبير في تفعيل وتوسيع التعاون بين الأحزاب الوطنية "ومن ضمنها الحركة – زوعا" وذلك ضمن مبدأ ونظرية الحركة الديمقراطية الأشورية الثورية التي تعتمد على الربط بين النضالين الوطني والقومي. وقد كان للحركة – زوعا مشاركات عديدة في التحالفات الوطنية، ومنها تحالفات الأحزاب الوطنية العراقية في كردستان العراق وفي لجنة العمل المشترك في دمشق والمؤتمر الوطني العام في بيروت وغيرها من النشاطات.

في كل هذه المهمات النضالية كانت الحركة الديمقراطية الأشورية تمثل شعبنا وأمتنا الكلدانية السريانية الأشورية وتضع نصوص حقوقنا القومية امام جميع القوى العراقية من أجل أدراك حقوقنا القومية المشروعة وأستيعاب فكرنا الوطني ضمن عراق ديمقراطي فيدرالي موحد.

ثالثاً: موقف الحركة – زوعا من قضايا النضال القومي.

الحركة الديمقراطية الأشورية، حركة قومية من الناحيتين التنظيمية والفكرية، وقد أكدت من خلال ادبياتها منذ التأسيس عام ١٩٧٩ م أن معركة النضال من أجل نيل الحقوق القومية لشعبنا وأمتنا هي معركة ضرورية وحتمية، وهي معركة الكل من أجل الكل، وهذه المعركة ليست موادا في ادبيات ونصوص في القوانين بل هي معركة ونضال شاملين لجماهير شعبنا في كل مكان لتحرير الأنسان الكلداني السرياني الأشوري من النواحي الفكرية والثقافية تحريرا كاملا ومطلقا، ومن ثم وضع الصيغ التي تهدف الى تحقيق طموحاتنا القومية في نيل حقوقنا المشروعة ضمن الأسس العلمية والدستورية التي تقرها كافة مواثيق الأمم المتحدة وحقوق الأنسان.

ومن المناسب هنا أن نُشير الى أن المتابع للمشهد والخارطة السياسية لشعبنا وأمتنا سوف يجد فيهما الكثير من المشاريع والطروحات المتعلقة بقضايانا وحقوقنا القومية، ويمكن لنا أن نحددها كما يلي:

١ – مشروع الإدارة الذاتية "حكم محلي". ٢ – مشروع الحكم الذاتي/مرتبط بأقليم كردستان العراق. ٣ – مشروع الحكم الذاتي/مرتبط بالحكومة الفيدرالية. ٤ – مشروع أقليم أشور. ٥ – مشروع "الحقوق العامة".

وأستقراءً لمجمل هذه المشاريع والطروحات والافكار السائدة في مجتمعنا الكلداني السرياني الأشوري يمكننا القول بأن قسما منها تتسم بالموضوعية والطرح الواقعي الدستوري، ومنها ما تتسم بالنيات الحسنة، والقسم الأخر والداعين لها يتسمون بالسمات التالية:

١ – عدم وجود المصداقية والصراحة والشفافية في طروحاتهم. ٢ – عدم الاحترام لرأي الأكثرية من أبناء شعبنا. ٣ – نشرهم لثقافة الغموض بالإضافة الى الثقافة الطوباوية التي تستند الى الوعود الفارغة والدعوة بأمتلاكهم الحقيقة. ٤ – جري وراء أجندة خارجية. ٥ – عدم وجود طريقة للتفكير، بالإضافة الى المنهجية والتحليل. ٦ – اتهام كل من اختلف معهم في الرأي والتحليل في مشاريعهم وطروحاتهم المثالية، بالضيق في الأفق القومي والذوبان في الوطنية.

الحركة بكونها الاكثر شمولية والاوضح ايديولوجية وتؤمن بالرأي الاخر ضمن اراء شعبنا المستقلة هي ليست ضد اي مشروع او طرح يخدم ابناء شعبنا وامتنا اذا توفرت فيه المصداقية والشفافية ولاستقلالية والرؤية الاستراتيجية السليمة.

وهكذا، ومن خلال دراسة وتحليل هذه الطروحات من منظور موضوعي دقيق، سوف نلاحظ بأن قسما منها هي مشاريع أو طروحات بعيدة عن الواقعية وعن الشعور بالمسؤولية لأنها ناتجة بالأساس عن القصور في الوعي باللحظة التاريخية وحركته، لذا نجد إن طروحاتهم ومشاريعهم هي مجرد افتراضات بعيدة عن الواقع "السكاني، الجغرافي، الدستوري" وإنها سوف تنتهي عاجلا أم أجلا، لأنهم قد وقفوا عند مواقع القوى المضادة لحركة المجتمع والتاريخ.

من هذا المنطلق، وفي مواجهة هذه الصيغ التي تستهدف تشوية فكر وعقل الفرد والمجتمع، طرحت الحركة الديمقراطية الأشورية مشروع الادارة الذاتية "الحكم المحلي" في مؤتمر بغداد ٢٠٠٣ أنطلاقا من فكر ونظرية الحركة – زوعا وفلسفته "الخبرة المجردة" والتي تعني:

أ – فهم الواقعين الذاتي والموضوعي من أجل ولادة مرحلة تتسم بأنها أكثر تطورا من سابقتها. ب – فهم التفاعلات والوجود الأجتماعي. ج – فهم ما يجري من حولنا من عمليات متحركة مع رؤية وتتبع التناقضات الكلية. ومن هنا يتضح مما عرضناه لحد الأن، ان فكر الحركة قد توصل في عملية الأستقراء للعوامل الموضوعية والذاتية الى طريقة جديدة للتفكير والبحث والتحليل، تعتمد على طروحات ضمن الحلقات المتحركة تهدف للوصول الى الأستراتيجية التي تتغير هي الأخرى بفعل العوامل المؤثرة وصولا الى الأستراتيجية الأبعد. وما طرح شعار "عراق ديمقراطي حر .. والأقرار بالوجود القومي الأشوري" في عام ١٩٧٩ م من قبل الحركة الديمقراطية الأشورية، إلا المرحلة الأولى في عملية بناء المراحل، حيث هيأت "المرحلة الأولى" الأرضية الضرورية للأنتقال الى المرحلة الثانية والتي تجسدت في طرح مشروع الادارة الذاتية "الذي هو مشروع في تحرك دائم" ثم ننتقل الى المرحلة الثالثة من التطور وحسب قانون الادارة المحلية الذي "يحق لكل قضاء أو أكثر أو منطقة ذي خصوصية ثقافية، لغوية، أو تاريخية، تكوين ادارة محلية بناء على طلب يستفتي عليه بأحدى الطريقتين: أ – طلب من ثلث الأعضاء في كل مجلس من مجالس الأقضية أو النواحي التي تروم الإندماج وتكوين الأدارة المحلية. ب – طلب من عشر الناخبين المسجلين في كل قضاء أو ناحية أو منطقة تروم تكوين الأدارة المحلية".

وأستمراراً لنظرية بناء المراحل، وبعد تقوية أركان كل مرحلة من هذه المراحل، يحق لنا المطالبة بأستحداث محافظة من قضاءين "تلكيف والحمدانية بحدودهما الإدارية" وصولاً الى المرحلة التي هي الأكثر تقدما في سقف المطالب في الحقوق القومية، وهي تطبيق المادة "١١٩" من الدستور العراقي الذي ينص على (يحق لكل محافظة أو أكثر تكوين اقليم بناءا على طلب بالأستفتاء عليه بأحدى طريقتين "الطريقتان مذكورتان في أ – ب اعلاه").

وهكذا يتضح جلياً بأن حقوقنا القومية قد شرعت دستوريا بموجب المادة ١٢٥ من الدستور العراقي الذي "يضمن هذا الدستور الحقوق الادارية والسياسية والثقافية والتعليمية للقوميات المختلفة كالتركمان، والكلدان والأشوريين، "مع تحفظنا على حرف الواو" وسائر المكونات الأخرى، وينظم ذلك بقانون" عليه فإن المرحلة تتطلب من جميع الأحزاب والمؤسسات والمنظمات وكافة شرائح المجتمع العمل على تنشيط الفقرة " وينظم ذلك بقانون " والتي تقع ضمن الخطوط الأولية من أيديولوجية الحركة – زوعا التي تقوم على الأسس التالية:

الأساس الأول: ممارسة الشراكة الحقيقية في الوطن بغض النظر عن حجم هذا المكون أو تلك، وأحترام الإرادة الحرة والقرار السياسي المستقل لأبناء شعبنا. الأساس الثاني: إقامة إدارة ذاتية "محلية" في سهل نينوى سليمة بحدود إدارية كاملة، تشكل دليلا وقاعدة للأنطلاق للمراحل القادمة، وصولا الى الأستراتيجية البعيدة التي تتطابق وحقوقنا القومية المشروعة.

ومن كل ما سبق يبدو واضحاً، أن الحركة الديمقراطية الأشورية بكونها الحركة القومية الأكثر شمولية، والأوضح ايديولوجية، وتؤمن بالرأي والرأي الأخر "ضمن أراء شعبنا المستقلة" هي ليست ضد أي طرح أو مشروع يخدم أبناء شعبنا وأمتنا، اذا توفرت فيه:

١ – المصداقية والشفافية والأستقلالية. ٢ – الرؤية الأستراتيجية السليمة. ٣ – الدستورية في الطرح أو في المشروع.

لأن الحركة – زوعا وضمن المنهج العلمي التي تعتمده في العلاقة بين الواقعين المادي والمثالي، لا تتعامل مطلقا مع الوعود التي تثير الأحاسيس والعواطف فقط وتقع في عالم الرومانسي الطوباوي البعيد عن العلمية والمادية. لذا فإن الحركة الديمقراطية الأشورية تعارض هذا النوع من المنهج والمنهجية، لأن في فكر الحركة – زوعا اقتراب نحو دراسة المعطيات المادية ومن ثم اتباع اسلوب البحث والدراسة.

ان الحركة ضمن منهجها الفكري تعتبر ان اي قضية في العراق ومهما كانت هي قضية شعبنا وامتنا ايضا .. فكانت تحليلات الحركة وبياناتها تربط دائما بين ما هو وطني وما هو قومي.

الخاتمة:

اولا: نشأت الحركة الديمقراطية الأشورية في ظروف قومية صعبة، حيث كانت النزعة الدينية المتمثلة بالتعصب المذهبي، ونظرة التأييد والولاء للأخرين هي الفكرة السائدة عند أبناء شعبنا.

ثانياً: بالرغم من وجود تيارات فكرية وسياسية "قومية، اشتراكية، دينية، لبرالية" داخل مجتمعنا فإن أي منهم لم يكن قادرا على نيل ثقة والتفاف الجماهير بأتجاه قانونية التطور السياسي للمجتمع الكلداني السرياني الأشوري التي اكتشفته الحركة – زوعا وذلك من خلال الربط الجدلي بين النضالين الوطني والقومي، هذه المعادلة التي عبرت عن مدى فهم الحركة لقوانين التطور العام، بالإضافة الى المساهمة في الأنتشار السريع لفكر الحركة الديمقراطية الأشورية بين جماهير شعبنا بشكل خاص وأحترام قوى وأحزاب الشعب العراقي بكافة مكوناته وأطيافه بشكل عام.

ثالثاً: التزمت الحركة بالنهج النضالي الثوري، رافضة بذلك الطرق التقليدية التي لم تكن تقودنا إلا الى الانهيار والضياع.

رابعاً: بالرغم من التحديات الكبيرة التي واجهت الحركة – زوعا بعد نيسان ٢٠٠٣ م، فلم تتوقف المسيرة النضالية للحركة في تعبئة الجماهير من أجل إقامة النظام الديمقراطي الفيدرالي الموحد، والمطالبة بالحقوق القومية المشروعة لشعبنا وأمتنا ضمن المادة ١٢٥ من الدستور.

خامساً : إن الحركة الديمقراطية الأشورية لا تقف "كما يروج لها" بالضد من الطروحات أو المشاريع أو البرامج التي تقدمها بعض من الأحزاب والمؤسسات التابعة لشعبنا والتي تخدم قضيتنا من النواحي السياسية والثقافية والأجتماعية، بل هي بالضد من الطروحات والمشاريع والبرامج التي تأتي من خارج البيت القومي، وتحمل معها بالتأكيد نوايا وأجندة مخفية. وفي هذا السياق لا بد من الأعتراف بأن الاحداث الأخيرة "عملية التصويت وإلغاء المادة ٥٠ من قانون إنتخاب مجالس المحافظات والأقضية والنواحي وعملية قتل وتهجير أبناء شعبنا في مدينة الموصل" قد أثبتت صواب رؤية الحركة الديمقراطية الأشورية لمجمل الأحداث وفي مقدمتها المشاريع المطروحة المتعلقة بحقوقنا القومية الوطنية، لأن هذه الحقوق "الإدارية ، السياسية ، الثقافية ، الأجتماعية" ترتبط بشكل جدلي بتطور الديمقراطية في العراق، لأن الديموقراطية ظهرت وتطورت تاريخيا عبر عمليات طويلة ومتتالية، أبتداءا من تعزيز حقوق الأنسان والى الفرض التدريجي للقواعد القانونية وأنتهاءا بالأمتيازات السياسية والدستورية. وما شعار "عراق ديمقراطي حر .. ضمان لحقوقنا القومية" الذي حدده بشكل واضح المؤتمر الخامس للحركة الديمقراطية الأشورية "٢٨ – ٣٠ حزيران ٢٠٠٧" كأستراتيجية للعمل السياسي للمرحلة القادمة، إلا تعزيزا لفهم الحركة – زوعا للواقع ضمن دراسة وتحليل معطيات كل مرحلة من مراحل التطور الديمقراطي في العراق والتي سيتحدد بموجبها سقف المطالب لحقوقنا القومية الوطنية المشروعة.

الذكرى "١٥٩" لصحافتنا القومية

الموضوعية في البحث عن الحقيقة جوهر الاعلام الصادق

عامر بولص

بحلول الذكرى ١٥٩ لصحافتنا القومية بدءا من صدور زهريرى دبهرا وانتهاءا بما يصدر اليوم من مطبوعات لابد من وقفة مع الصحافة والاعلام بكل وسائلها المقروءة والمسموعة والمرئية وكيفية تعاطي صحفيينا مع الحقيقة التي هي جوهر النتاج الاعلامي.

ربما "قليلا" اتفق مع من قال ان الصحفي والسياسي وجهان لعملة واحدة "ولكن ليسمح الزميل في اكمالها" نعم هذا صحيح لكن عندما يتحزب الاعلام ويسيس وهذا ما حدث ويحدث في دول وحكومات غير ديمقراطية، سوف يكون هناك انفرادا برأي من دون رأي اخر، وميلا وانحيازا لاتجاه واحد من دون الاخر وبالتالي تصبح الرسالة الصحفية عبارة عن املاءات لتمرير رغبات الحاكم اوالقائد اوالزعيم المطلق.

والحقيقة ان الصحفيين هم المراقبون على الحكومات والمسؤولين والذين دائما يكونون في الجانب الاخر "الشعب المغلوب على امره". لنعد الى وقفتنا في صحافتنا القومية والتي يؤسف ان نجد اليوم وبعد مرور عشر سنوات على الاحتفال بيوم الصحافة وذكرى صدور "زهريري دبهرا" والتي كانت قد صادفت حينها ذكرى ال ١٥٠ عاما وبعد الكتابة والتصدي للاهم والمهم في صحافتنا القومية في العديد من الصحف والوسائل الاعلامية الاخرى بدءا من ضرورة ايجاد صحافة للطفل وللمراة وما كانت تعنيها في نظر بعض الزملاء عندما تساءلوا "هل ما قدم ويقدم للطفل في اعلامنا القومي يوازي مسيرة خمسة عشر عقدا من مسيرة صحيفة جريئة" ومرورا بتساؤلات البعض ايضا قبل عشر سنوات "على الصحفي ان يعيش مع مهنته وصحافتنا بجهد ومثابرة " والكثير مما قيل عن صحافة تصل الى حدود غير المعقول وبالاخص حينها "عتبنا وعتبهم" على نقص الاصدارات باللغة الام السريانية وما رافق كل ذلك حينها قبل عشر سنوات من حماسة واندفاع.. ويؤسفني ان اقول للزملاء اين انتم اليوم مما يحدث وما يكتب وما يقال؟ اين انتم في خضم المتغيرات الاعلامية التي تحدث؟ واين الجهد والمثابرة والعيش بكل جوارحكم مع الصحافة والاعلام؟ وبما انني لست من الذين يتكلمون كثيرا ويفعلون القليل او من الذين ينتحبون على اطلال القديم وفرت على نفسي مشقة البحث عن كل ما ينقصنا كاعلام قومي وما يبقى بعيدا عن متناول ايادينا والمتعلق بالامكانات والاجهزة وبالاخص ما نشاهده فقط او ما نسمع عنه في رويترز والبي بي سي وغيرهم ونكتفي بما متاح في ايادينا لننطلق عبر اعلام "اولا" متوازن ومستقل وصادق "وهذا الاهم".. ولكن.. كيف؟ هذا ما انا بصدده في "اطلالتي هذه" في بهرا.

تتجلى خلال مهنة المتاعب كما يحلو للبعض ان يسمي الصحافة وفي خضم رسالتها "البحث عن الحقيقة" التزامات اخلاقية، الصدقية، الدقة، الامانة تتجسد وتتمحور كل هذه في كلمة واحدة وهي "الموضوعية" بكل ما تعنيه الموضوعية من التجرد من الذات من اهواء وعاطفة ومنطلقات ايديولوجية ولن يختلف معي اثنان بان الموضوعية هي رفيقة الصحفيين والاعلاميين بحكم تاثيراتها على حامليها من الزملاء وخصوصا في الدول التي عبرتنا باجيال واجيال. لان اهم الاسس التي يبنى عليها العمل الاعلامي "لاي اعلامي او صحفي كان" هي معرفة الرأي والرأي الاخر. والاهم كيف يتم التعامل مع هذا الرأي والرأي الاخر؟ وكيف نقارن بين هذا الرأي والاخر؟ وكيف نفرز ونقيم ونعرف الحقيقة من الكذب والزور والتحريف؟.

بالرغم من اننا "اليوم وفي بعض المطبوعات وكتابات مواقع الانترنيت" نجد ان عددا لاباس به اختار الطرح الموضوعي ليؤسس من خلالها تصوراته الفكرية الدقيقة وعبر كتابات وحقائق يطرحها مستندا الى دلائل وقرائن مادية. وبعضا من هولاء نجد لهم كتابات في صحف حزبية وسياسية متنوعة واخرى في بعض المواقع الانترنيتية وحتى في الصحف الكنسية الدينية وتقرأ مطبوعاتهم ايضا في الاذاعات والتلفزيون. وهذا النوع من الصحفيين يلتقي بطروحاته مع الجميع وتكون "افكارهم احيانا" المثل الذي يستشهد به ونامل ان تكون اقوالهم حكما ومرجعا نقتدي به. وهذا يضعنا في تساؤل دائم اين نحن من كتابات الماضي؟ بحيث اننا كل ما اردنا ان نستشهد بمقولة او بحكمة نجدها في كتابات الماضي السحيق؟ في اعمال اشور بيث خربوت او نعوم فائق ومرورا باغا بطرس وفريد نزها ومار توما اودو ووصولا الى جان الخاص ونمرود سيمونو.. وفي الاغلب فأن الصحفي المستند للموضوعية في عمله وبحثه عن الحقيقة هو الذي يترك خلفه دائما منفذا للعودة ومجالا واسعا "عرض الافكار واستنباط الرؤى".

وفي نفس الوقت ناسف ان نجد انعداما للموضوعية في طروحات البعض بحيث ياخذون "ان كان عن قصد او غير قصد" اتجاها واحدا لبناء تصوراتهم مع "الحكم المسبق" على الطرف الاخر وينفرد "ايضا" في كيل سيل من الاتهامات للطرف الاخر من دون رادع "اولا" ومن دون العودة الى الطرف الاخر "ثانيا" اضافة الى التواصل حتى ان كانت للطرف الاخر مبررات تحتم واسباب معذورة. وياتي ذلك للاسباب التالية..

اولا وجود اياد غريبة تملي على هؤلاء الصحفيين "بغض النظر عن الغاية التي هي تسقيط الفرد" وتدفع بهم الى السباحة عكس التيار و"بالنتيجة" الاملاءات هذه تترك تشوهات "وهي الغاية بحد ذاتها" وقصورا في اعلامنا وصحافتنا.

وثانيا وجودهم في اعلام متحزب ومنحاز وكأن السياسة لا تعمل وفق قاعدة "عدو اليوم هو صديق الغد وصديق اليوم هو عدو الغد" وان مقولة "لايوجد صديق وعدو دائم" في "نظرهم بالتاكيد" هي "خزعبلات" للينين وماوتسيتونغ وجيفارا وغيرهم من الثوار.

ثالثا.. ان الملاك الصحفي ينطلق في بعض الوكالات كممارس للاعلام من دون تهذيب وصقل الامكانات من خلال دورات اكاديمية والتي من اهم اسسها التعلم من خلالها على الموضوعية والدقة في التحليل اضافة الى المصداقية في العمل لان الاعلامي والصحفي مطلوب منه "كامانة تاريخية" الحقيقة مهما كانت.

وبالنسبة الى صحافتنا اليوم فان ما يكتب عنا وعنهم اليوم هو "في رايي" هو المطلوب وليكن صدرنا واسعا ولنتقبل النقد والنقد الاخر لانها من شيم الاعلام الحر الذي بدانا معه وننتهي معه كاعلاميين وصحفيين.. ولكن مهما قيل وكتب فالصحافة والاعلام تبقى "دائما وابدا" المرآة التي تعكس افاق تصوراتنا ومعها تصورات الاخرين "عنا وعن غيرنا" وايضا تعكس نضج عقليتنا وعقلية الاخرين وتبقى هي السلطة الرابعة "والاولى ايضا في نظر البعض من الزملاء وفي بلدان ديموقراطية" واملنا هو التواصل والاستمرارية من غير تحييد او ميل عن المباديء والاسس العامة للعمل الصحفي من اجل حمل رسالة صحفية وبامانة مستقلة مخيرة وغير مسيرة. وانه لابد في مهنة المتاعب والصعوبات ان ننبش سابرين اغوار الحقيقة.. ولكن يبقى من الصعب البحث عن الحقيقة ما لم يكن لنا ايمان بالحقيقة.